سورة الأنفال

٣٩١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..﴿٢﴾﴾ أى خافت، والمراد بالمؤمنين هنا، وفى قوله بعد: أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الكاملون.

٣٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن حقيقة الإيمان ـ عند الأكثر ـ لا تزيد ولا تنقص كالإلهية والوحدانية؟

قلت: المراد بزيادته إثارة من الطمأنينة واليقين والخشية ونحوها وعليه يحمل ما نقل عن الشافعى من أنه يقبل الزيادة والنقص.

٣٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ .. ﴿٥﴾﴾ الآية، الكاف للتشبيه أى امض على ما رأيته صوابًا من تنفيل الغزاة فى قسمة الغنائم وإن كرهوا كما مضيت فى خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون.

٣٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾.

إن قلت: فيه تحصيل الحاصل؟

قلت: لا، لأن المراد بالحق الإيمان وبالباطل الشرك.

فإن قلت: ما فائدة تكرار ﴿ليحق الحق﴾ هنا مع قوله قبل ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.

قلت: فائدته: أنه أريد بالأول، ما وعد الله به فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء بقرينة قوله عقبه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾.

وبالثانى: تقوية الدين ونصرة الشريعة بقرينة قوله عقبّ ﴿ويبطل الباطل﴾.

٣٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ .. ﴿١٧﴾﴾.

إن قلت: كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار، مع أنهم قتلوهم يوم بدر، ونفى عن النبى ﷺ رميهم، مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء فى وجوههم؟

قلت: نفى الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد، إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة.

٣٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ثنى فى الأمر وأفرد فى النهى تحرزًا بالإفراد عن الإخلال بالأدب من النبى ﷺ عن نهيه الكفار فى قرآنه بين اسمه واسم الله تعالى، فى ذكرهما بلفظ واحد، كما روى أن خطيبًا خطب فقال: «من أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى» فقال له النبى ﷺ: بئس خطيب القوم القوم أنت هلا قلت: ومن عصى الله ورسوله فقد غوى» أو أفرد باعتبار عوده إلى الله وحده لأنه الأصل مع أن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان. أو أن الاسم المفرد يأتى فى لغة العرب ويراد به الاثنان والجمع كقولهم: انعام فلان ومعروفه يغنينى والإنعام والمعروف لا ينفع مع فلان، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ.. ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: ٦٢].

٣٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ معناه: ولو علم الله فيهم إيمانًا فى المستقبل، لأسمعهم سماع فهم وقبول، أو لأنطق لهم الموتى يشهدون بصدق نبوتك كما طلبوا ولو أسمعهم أو أنطق لهم الموتى، يشهدون بما ذكر، بعد أن علم أن لا خير فيهم لتولوا وهم معرضون لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره، وتقدم فى البقرة الكلام على الجمع بين التولى والاعراض.

٣٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ .. ﴿٣٣﴾﴾.

إن قلت: قد عذبهم الله يوم بدر والنبى ﷺ فيهم؟

قلت: المراد ﴿وأنت فيهم﴾ مقيم بمكة، وتعذيبهم ببدر إنما كان بعد خروجه من مكة.

أو المراد: ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وأنت فيهم.

٣٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. ﴿٣٤﴾﴾.

إن قلت: هذا ينافى قوله أولاً ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾؟

قلت: لا منافاة، لأن الأول مقيد بكونه ﷺ فيهم، والثانى بخروجه عنهم أو المراد بالأول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة.

٤٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً..﴿٣٥﴾﴾. أى إلا صفيرًا وتصفيقًا.

٤٠١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً .. ﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: فائدة تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر وهو زوال الرعب من قلوب المؤمنين، فما فائدة تقليل المؤمنين فى أعين الكفار فى قوله ﴿ويقللكم فى أعينهم﴾؟

قلت: فائدته ألا يبالغوا فى الاستعداد لقتال المؤمنين لظنهم كمال قدرتهم فيقدموا عليهم، ثم تفجؤهم كثرة المؤمنين فيدهشوا ويتحيروا ويفشلوا.

٤٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴿٤٦﴾﴾.

أى لا تتنازعوا فى أمر الحرب، بأن تختلفوا فيه وإلا فالمنازعة فى إظهار الحق مطلوبة، كما قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾.

٤٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال الشيطان ذلك مع أنه لا يخافه وإلا لما خالفه وأضل عبيده؟

قلت: قله كذبًا كما قال قتادة أو صدقًا كما قاله عطاء لكنه خالف عنادًا.

أو الخوف بمعنى العلم كما فى قوله تعالى: ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ أى اعلم صدق وعد الله نبيه النصر.

٤٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

جوابه محذوف أى يغلب دل عليه قوله تعالى: ﴿فإن الله عزيز حكيم﴾ أى غالب.

٤٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. ﴿٥٤﴾﴾.

كرره لأن الأول اخبار عن عذاب ولم يمكن الله أحدًا من فعله وهوضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم.

والثانى: اخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق.

أو معنى الأول: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فيما فعلوا والثانى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فيما فعل بهم.

أو المراد بالأول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم الأنبياء.

٤٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بعد ذكر ما قبله؟

قلت: مراده أن يبين أن شر الدواب هم الذين كفروا، واستمروا على كفرهم إلى وقت موتهم.

٤٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ .. ﴿٦٦﴾﴾ الآيتين. حاصلة أن البعض منا يقاوم عشرة أعشاره منهم قبل التخفيف ويقاوم ضعفه بعده.. وقد كرر كلاً من المعنيين فى الآيتين.

وفائدة التكرار الدلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف فكما تغلب العشرون المائتين غلب المائدة الألف، وكما تغلب المائة المائتين، يغلب الألف الألفين.

٤٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿والله يريد الآخرة﴾ أى ثوابها، وإلا فهو كما يريد الآخرة، يريد الدنيا وإلا فما وجدت.

٤٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٧٢﴾﴾.

قدم هنا ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ على قوله: ﴿فى سبيل الله﴾ وعكس فى «براءة» لأن ما هنا تقدمه ذكر المال والأنفس، فى قوله تعالى: ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ وقوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمكم فيما أخذتم﴾ أى من الفداء، وقوله ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ وما فى براءة تقدمه ذكر ﴿فى سبيل الله﴾ فناسب تقديم ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ وتقديم ﴿فى سبيل الله﴾ ثم.

« انتهت سورة الأنفال »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋